القصة القصيرة بين البساطة والتعقيد

نقد : د. محمد مندور

● قصة « التسلل » بقلم ضياء الشرقاوى ●

تبدأ هذه القصة بوصف نزعة عدم الانتماء عند بطلها ثم ينتقل الكاتب الى سرد قصة طالبة فى كلية الآداب « لقحت » نفسها على هذا الشاب عند التقائهما مصادفة فى القطار الذاهب الى بورسعيد ومقابلته لها بالصد والاحتقار ومع ذلك ظلت هـذه الفتاة تلاحقه وتتسلل الى بيته فى بورسعيد دون أن نتبين عندها أى عته أو شذوذ بل على العكس تبدو طبيعية بل ومثقفة تعرف ما تريد · ويستمر الشاب فى الصدود عنها ولكنه فى آخر لحظة فى القصة يضمها الى صدره وتنتهى القصة بقبلة طويلة متبادلة · وبذلك نجحت الفتاة فى تسللها اليه · وفى تضاعيف القصـة يتلو علينـا الكاتب بلسان بطل القصـة آيات طويلة من التراتيل المسيحية لا نتبين ارتباطها العضـوى بالقصة رغم جمالها الروحى ·

ولسنا ندرى على وجه التحديد ماذا يريد الكاتب أن يقوله لنا من خلال قصته غير المألوفة فنحن لا ندرى أين توجد مثل هذه الفتاة ؟ وأين يوجد مثل هذا الفتى ؟ واذا كان هدفه هو أن يصور مصير اللامنتمى ووقوعه طال الزمن أو قصر بين براثن قوية غلابة فانه لم ينجح فى تجسيد وابراز هذه الفكرة الانسانية الاجتماعية الصميمة· واذا كان فى الحوار الذى يجرى بين الفتى والفتـاة شىء من اثارة الاحسـاس والتأمل فانه يدل على المهارة أكثر من دلالته على الصدق الفنى والصدق الانسانى · ويلوح لنا أن هذا الكاتب ربما كان أقدر على كتابة الحـوار المسرحى منه على الكتـابة فى الفن القصصى الذى لا بد من تطعيمـه بعنصرى الوصف والتحليـل فى تحـديد ابعـاد الشخصيات والجو الطبيعى والبشرى المحيط بها كعوامل أساسية تساعد على الفهم والتفسير · واذا كان المؤلف قد أوحى لنا فى مطلع قصته بما قد يساعد على تفسير موقف الشاب من هذه الفتاة فانه على العكس من ذلك لم يقدم لنـا أى مفتـاح لفهم شخصية الفتاة وتفسير سلوكها الشاذ بالنسبة لعرف حياتنا وتقاليدها ·

وفى النهاية أحب أن اسجل للكاتب براعته فى خفة الأسلوب وسرعته مع التركيز والقدرة على الايحاء بتركيب الحوار ذاته لا بمقاطعة مثل المحاولة المستمرة التى قام بها الشاب للهروب من الدخول فى حوار جدى قد يثير الاهتمام المتبادل بينه وبين الفتاة بتجنب الاجابة على اسئلتها ورد الكرة اليها باسئلة تنقل الحديث من مجال الى آخر تجنبا لتوليد الاهتمام · ففى مثل هذا الحوار ذكاء لا شك فيه **يؤيد ما قلته عن قدرة هذا الكاتب على الكتابة للمسرح أكثر من قدرته على الكتابة القصصية · ويا حبذا لو اتجه نحو المسرح الساخر فى مرارة ·**

***

● قصة « حول الرقبة » لاحمد هاشم الشريف ●

قصة « حول الرقبة » يبدو أن كاتبها قد قرأ الكثير ولكنه لم يهضم مما قرأ غير القليل · كما يبدو اما أنه ليس لديه شىء محدد يريد أن يقوله أو أن لديه هذا الشىء ولكنه عجز عن التعبير عنه صراحة أو ايحاء · فالقصة تتضمن تهويمات وانتقالات

مفاجئة من كابوس يقظة الى قطة ميتة على السلم الى هلوسة من الجار لزوجته الى مشاجرة بين راكب وعمال الترام ودم علق بقميصه من هذه المشاجرة · وأخذ يطوف بهذا القميص المبلل بالدم بين مقهى فى كلوت بك ومقعد فى حديقة الأزبكية وما الى ذلك من تسكعات خيالية يلوح أنها نتيجة لرواسب عديدة متنافرة من قراءاته فى الآداب الأوربية الحديثة من أمثال كتابات سارتر القصصية وادجار آلان بو ، بل وجماعة اللامعقول أيضا · وقد انعكس اضطراب مضمونه على أسلوب تعبيره والبناء الفنى لقصته الذى انتقل فيه أكثر من مرة من ضمير الغائب الى ضمير المتكلم مما زاد قصته تفككا واضطرابا على نحو أفقد القصة وحدتها الفنية وعلتها الغائية على السواء . وما أظن مثل هذه القصة تروق غير النفوس الشاذة المريضة المضطربة أو المولعة بالاثارة التافهة المزعجة فى غير ضرورة فنية أو هدف انسانى صادق ·

ونفس العيوب الناتجة عن اضطراب الرؤية الفنية والرؤية الانسانية نجدها فى أسلوب التعبير اللغوى · وما حاوله المؤلف من تصوير لا أرى مبررا لمتابعته واظهار فساده خلال القصة كلها مكتفيا ببعض أمثلة آخذها من الصفحة الأولى لهذه القصة مثل قوله « الغضب المطل من شرفات العيون » فما أظن أن شرفات العيون قد اكسبت التعبير الأدبى فى هذا الموضع شيئا من قوة أو جمال فى التصوير البيانى · وكذلك جمعه فى سطر واحد بين تشبيهه لبطل قصته عندما رفع رأسه بأنه « رفع راية التسليم » ثم ارداف هذا التعبير بقوله كأنه « البناء يتشقق » قبل أن ينهار فالتنافر واضح بين الصورتين والتكامل الفنى بالتالى منعدم بينهما تماما وانما هو حشد لرواسب من الصور لم يهضمها الكاتب ولم يتمثلها على نحو يمكنه من حسن الاستفادة منها · وكذلك تشبيهه الآذان « بالشرك المنصوب » ينتظر حركة شفتيه فالصورة مجتلبة مفتعلة نحس فيها الجهد والتلمس · وكذلك جمعه بين « البئر المعتم » و « العيون العميقة كالصمت » فالتنافر بين الصورتين أيضا فاقع يوحى باستعراض العضلات الضار المفسد للفن ·

ونصيحتى لهذا الكاتب هى أن يتمهل فى هضم ما يقرأ وتمثله حتى يصبح جزءا من ذاته بحيث يتخفف من عبء الذاكرة الذى يطمس اصالته وأن يتجه نحو التبسيط والتركيز ذاكرا أن الفن السليم غالبا ما يكون أن نصنع شيئا من لا شىء · وقمة الفن فى التعبير هو أن نقول اشياء كبيرة بألفاظ بسيطة وصور انسانية أقرب الى السليقة منها الى الصنعة المعقدة التى توحى بالجهد والافتعال ، ويا حبذا لو أدرك أن الفن التلقائى أسمى بكثير من الصفة المعقدة الخاوية وليكن له فى الطير الذى يغرد بسليقته أسوة حسنة · والصنعة كثيرا ما تكون قبرا مذهبا للموهبة التى أحس بأن كاتب القصة يملك بذرتها وأرجو أن يضيعها فى أرض مليئة بالملح ونشع الذاكرة ·

***

● قصة « حكاية بسيطة » سعيد صبحى الصفانى ●

القصة حكاية بسيطة حقا ولكنها على بساطتها حكاية انسانية مؤثرة لا نعدم أن نلتقى بمثلها فى الحياة · وهى قصة الشاب الصغير حمدى الذى بلى حذاؤه وطالب أهله بحذاء غيره ليستطيع مواصلة لعب الكرة مع أترابه فى الحى والذهاب الى المدرسة الاعدادية فى غير ذلة ولا خجل · ولكن سيطرة أمه الحمقاء وتآمرها مع ابنتها الكبرى على امتصاص كل ما يملك الأب لشراء أثاث فاخر لهذه البنت التى يعدونها للزواج تغل يد الأب عن الاستجابة لمطلب ابنه · ولكن الأب ينتفض ضميره ويثور على تسلط زوجته وابنتها الأحمق · وتتعقد مشكلة الشاب الصغير بتمزيق كم قميصه فى زحام وجد نفسه فيه نتيجة لولعه بمشاهدة لعب الكرة بعد أن عز عليه الاشتراك فى هذا اللعب · ويعود الشاب الى بيته فى حالة نفسية مضطربة لتلقاه أخته معلنة أنه قد تسبب فى تشابك أبيه مع أمه مما يوحى بأن هذا الأب قد استرد سلطانه على نحو يمكنه من عدم التضحية بابنه فى سبيل حماقة زوجته وابنته الكبرى وتطلعهما الأبله لبذخ لا يستطيعه ·

ولقد تأثرت فعلا بمأساة الشاب الصغير حمدى رغم أن كاتب القصة لم يحاول أن يستجدى العطف عليه · فأسلوبه دقيق مقتصد نأى به عن الطرطشة العاطفية مكتفيا بأن يترك المواقف البسيطة التى وصفها تجند مشاعرنا حول حمدى · ويلوح أن الكاتب يملك القدرة على الملاحظة وانتقاء اللمسات الصغيرة الموحية على نحو ما هو واضح مثلا فى وصف المباراة التى شهدها حمدى والحوار أو محاولة الحوار السريعة الخاطفة بينه وبين البواب النوبى الذى تصادف وقوفه الى جواره ، كما عاد الى الالتقاء معه بعد أن فرق البوليس الجمع تلبية لاستنجاد أحد سكان الحى الذى لا يروقه شغل الشبان للطريق على هذا النحو · فاللمسة التى أشار فيها الى الرجل النوبى وهو يخرج منديله ليجفف به عرقه الذى أخذ يتصبب على وجهه الأسود اللامع تدل على ذكاء فنى لا شك فيه ·

وفى اعتقادى أن هذا الكاتب ما دام يملك القدرة على الملاحظة الدقيقة وموهبة حسن اختيار اللمسة الفنية المعبرة من الممكن أن ينتقل فى يسر من الحكاية البسيطة الى الحكاية المركبة بمزيد من قراءة عيون القصص الفنى العالمى من جهة ومطالعة كتب التراث العربى المتينة الأسلوب ليكتسب مزيدا من جمال الأسلوب وشاعريته ويا حبذا لو استطاع أن يجمع بين الروح الشاعرية وروح الابتسامة الحزينة المؤثرة · وعلى أية حال فاننى أفضل هذه الحكاية على بساطتها على قصة «**حول الرقبة**» وقصة «**التسلل**» وذلك لطابعها الانسانى الصادق المؤثر فى غير ميوعة عاطفية ولا جفاف ذابل · والكاتب على أية حال يلوح أنه يدرك **الوظيفة الأساسية للقصة القصيرة من حيث أنها تجسيد لفكرة أو احساس بواسطة مواقف ليس حتما أن تكون مركبة معقدة مادامت فى ذاتها قادرة على تحقيق الهدف من هذا الفن العسير** ·